الكراهية الدينية والعنصرية

الاستاذ الدكتور رياض حمود المالكي

طالبة الماجستير: منال رحيم واعي

قسم علوم القرآن / كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بابل

alsltantmram٢@ gmail. com

الملخص:

ركزت الدراسة على دراسة الكرهية الدينية والعنصرية في المجتمع واثرها واسباب نشوئها ، وكيف ان الاسلام واجهة تلك الكراهية وانواعها ، وتبحث الدراسة انواع خطاب الكراهية وكيفية تعامل القران الكريم معها ، وما ترتب على الكراهية من صراع بين فئات المجتمع المختلفة ، وتقوم الدراسة على المنهج الاستقرائي من خلال استقراء الايات القرانية التي تتناول هذا الموضوع ، اذ ان كثير من الايات تحدث حول علاقة الانسان مع غيرة من بني البشر ، وبيان اسباب العدوات والكراهية ، وقد توصل البحث ان الكراهية تبع من انواع عنصرية ودينية تتبناها جماعات مختلفة وفرق دينية ، تنبع من نظرة الاستعلاء على الاخر .

الكلمات المفتاحية: (الكراهية، الدينية، العرقية، القران، المجتمع).

Religious and racial hatred

Prof. Dr Riyad Hammoud Al-Maliki

Master's student: Manal Rahim

Department of Quran Sciences / College of Islamic Sciences /

University of Babylon / Iraq

Abstract:

The study focused on the study of religious and racist hatred in society, its impact and causes of its emergence, and how Islam is the interface of that hatred and its types. Extrapolation of the Quranic verses that deal with this subject, as many of the verses talk about the human relationship with jealousy among human beings, and explain the causes of hostility and hatred. .

key words: (The hatred religious ethnic The Quran the society).

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام أبي القاسم محمد (صلى الله عليه وآلة وسلم) ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) .

يعتبر العامل الديني من العوامل المؤثر في تحديد اتجاهات الفكر الانساني منذ اقدم العصور ، لأنه متأصل في النفس الانسانية، فالعامل الديني يلعب الدور الحاسم في الكثير من الاختيارات التي يتبنها الانسان في حياته وفكره وطريقة معيشته وحتى في ما يأكل أو يلبس.

لذا كان المعتقد الديني من اهم العوامل في التاريخ التي غيرت المشهد في الكثير من الحروب والنزاعات بين ابناء الديانات المختلفة ، وكذلك بين ابناء الدين الواحد، بسبب الاختلافات المذهبية بينهم. والكراهية الدينية جاءت في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ [المائدة : ٨] ، اي لا يمنعكم كفر القوم عن العدل لان الله تعالى يأمر بالعدل في بين الناس بغض النظر عم معتقدهم ودينهم

إن التميز الديني و العرقي بين الناس ليس وليد العصر الحديث وإنما هو ممتدة عبر التاريخ وله طرق واساليب متعددة .

ولغرض دراسة هذا الجانب اي الكراهية الدينية والعنصرية في هذا الفصل سنتطرق الى الكراهية الدينية في المبحث الاول وفي المبحث الثاني الى الكراهية بسبب العرق او العنصرية العرقية . من خلال البحث عن مصادرها واليات علاجها في ضوء القرآن الكريم.

أهمية البحث

تنطلق أهمية البحث من معالجة المشكلة مع ازدياد الكراهية في المجتمعات بدوافع دينية وعنصرية .

منهجيَّة البحث

أعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لأنه المنهج الانسب لطبيعة البحث ، مع الاستعانة بالمنهج التاريخي والمنهج النقدي لتحكيم الاراء .

خطَّة البحث

تكونت خطة البحث من الامور الآتية:

مقدمة ومطلبين ، جاء المطلب الاول بعنوان الكراهية الدينية ، وتناول الدوافع الدينية للكراهية وكيفية تعامل القران الكريم معها .

ومطلب ثاني بعنوان الكراهية العرقية ، تناول الاسباب التي تدعو اليها والدوافع والمعالجات القرانية لها .

الخاتمة: وفيها أهم النقاط التي جاء بها البحث ، والتي تعد خلاصة للبحث .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المطلب الاول: الكراهية الدينية

لقد تم توظيف الدين ، على مر التاريخ باعتباره قاموسًا من المفردات ، يمكن شحنها بافهام وتاويلات خاطئة ، للتحول الى أدوات للصراع ودفع الخصوم في الاجتماع والسياسة ، كما تتحول النصوص الدينية الى أدلة جاهزة للتحريض على الكراهية الدينية اذا تعلق الامر بالكراهية التي سببها الاختلاف بين الأديان او الاختلاف في المذاهب في الدين الواحد ، اما اذا تعلق الامر في الكراهة بين المتدينين وغير المتدينين فالكراهيه تكون قائمة في الدين نفسه او كراهية غير المتدين كذلك(١).

ولقد برزت الكراهية الدينية نتيجة لخطا في فهم النصوص الدينية على أنها متعارضة مع بعضها بعضاً، غير أنه بصفة عامة يكون الخطاب الديني خطاب كراهية عندما يلحق الضرر او يميل الى التحريض على العنف عبر تقديم المبررات التي يعتقد انها تجعله في منايء عن كل مسائلة أخلاقية او قانونية بل يذهب انه لايمارس العنف من خلال التحريض على الكراهية بل لانه يدافع عن مجموعة ضد عنف مضاد ، موجود بالفعل او كامن في تاريخ المجوعة الدينية المستهدفة(٢). فالدين يعتبر المحرك الرئيسي في الكثير من الصراعات، حتى وإن لم يكن الدين هو السبب الرئيسي للنزاع، فغالباً ما تعزز أو تعقّد الانقسامات الدينية الأسبابَ الأخرى مثل الهويات العرقية الفوارق بين القوى الاقتصادية(٣).

لقد حرم النظام الدولي الكراهية الدينية، ووضعت مبادئ كادمن تعريفا للكراهية بأنها "مشاعر قوية وغير عقلانية من الازدراء أو العداوة أو البغض تجاه المجموعة المستهدفة "(٤) فالكراهية هى شعور نفسي سلبى زائد عن الحد يظهر فى تصرفات الإنسان، أي إنَّها تظهر " تجاه انفعالي عاطفي ومشاعر سلبية تتعارض مع حاجات الفرد ودوافعه ومعتقداته وقيمه ويصاحبها اشمئزاز ومقت وبغض ونفور وعداء تدفعه لسلوك موجه ضد المكروه ، ممن

يحمل معتقدات مخلفه له، فهي شعور مصحوب بالعداء الى معتقدات الاخرين، من خلال الايمان ببطلانها أو إنَّها كفر من وجهة نظره أو مبادئه التي يعتنقها "[٥] .

يقول احد الباحثين:" في اكثر اشكاله شيوعا يدعي خطاب الكراهية ان أعضاء مجموعة عرقية او غيرها من الفئات المحددة هم اقل إنسانية او اقل جدارة من الاخرين او انهم يتشاركون سمة خطيرة او غير مرغوب فيها ، وغالبا ما يتخذ خطاب الكراهية ضد جماعة دينية هذا الشكل المعياري ، حيث يعزو زيفا الى أعضاء المجوعة صفات مثل خيانة الأمانة او القسوة "[٦].

نلحظ ان بهذا المعنى فان الكراهية تقوم بتعميم الصفات المنبوذة على كل افراد المجموعة الدينية المستهدفة ، وجعل تلك الصفات متلاصقة مع الانتماء الديني.

لا يمكن فصل العنف والكراهية الدينية عن الجذور التقليدية للتفكير الديني، فهما وليدان هذا التفكير. ومبرراته النظرية مستمدة بشكل او باخر من النص الديني ذاته. وهنا يطرح السؤال الصارخ. هل للدين صلة ذاتية بالعنف والارهاب. ام ان النموذج الارشادي للتفكير الاجتهادي قد آل الى هذه النتيجة عندما راهن على فهم ثابت غير قابل للمراجعة والنقد فالاجتهاد: من حيث النص الديني لا ينكر ان هناك موارد تدعو الى شيء من الشدة مع المخالفين في الدين. وهو الاطار الذي يعول عليه الفقهاء كركيزة ثابتة غير قابلة للتغيير، وعلى اساسه تُرفع شعارات كون الشريعة الاسلامية بأحكامها المنصوصة مناسبة وصالحة للتطبيق في كل زمان ومكان. فلديهم ان احكام القرآن قطعية وقريب منها احكام الحديث، ولا مجال لتأويلها ولا الى تضييق مساحتها طالما انها تبدي الاطلاق والعموم ، فالكراهية الدينية هي نتيجة التفكير الفقهي الثابت قبل ان نكون ضحية العنف والكراهية والارهاب، فلهذه البواعث اصل متعلق بهذا التفكير المغلق، ولولا ذلك ما كان للعنف ولا للكراهية والارهاب محل لدى الافهام الدينية [٧].

هذا ويطرح خطاب الكراهية الدينية مشاكل عسيرة لانه بالدين بوصفه مجالا تتقاطع فيه النصوص مع السلوكيات ، وهذا بدوره يثير حول ماذا اذا كان ممكنا التمييز بين انتقاد الأديان والمعتقدات او اهانتها وبين انتقاد المؤمنين او اهانتهم ، اذ ان من غير الواضح الفصل بين كراهية الأديان وكراهية اتباعها ويتداخل ذلك مع حرية التعبير التي يعتبر النقد احد اكبر معالمها(٨) .

وتبعا لهذا المعنى فان الباحثين أشاروا الى إمكانية التمييز بين جهتين مستهدفتين بخطاب الكراهية وهما جهتان مختلفتان للانتماء الديني من حيث الضرر وما يترتب عنها من مواجهات لسبل المقاربة والحلول :

أولا: الانتماء الديني باعتباره التزاما شخصيًا : ان الانتماء الديني في اطار الالتزام الشخصي يحول القيم العامة للدين الى مشروع حياة عمومية ، وبالتالي فانه يخضع لردود الفعل التي تولدها حركة المجتمع المتفاعلة بين مكوناته المتنوعة حتى المتناقضة ولذلك فانه اذا تم اعتبار الانتماء الديني التزاما شخصيا فيجب ان تكون الاعتقادات والممارسات الدينية للشخص مفتوحة على النقد ، بما في ذلك النقد القاسي(٩).

فعندما يأخذ المعتقد الشخصي طابعا عموميا فانه يندرج ضمن مشروع لنظام اجتماعي معين فانه يصبح عرضه للنقد بما انه تحول وجه نظر اجتماعية قابلة للنقاش ، وهو الاطار الذي يجد فيه خطاب الكراهية حدوده وابعاده في الفضاء العام ، ففي نظام خطاب الكراهية يتم التمييز بشكل عام بين الهجوم على مجوعة او على عنصر في المجموعة ، وان الالتزام الشخصي بالدين قد يوهم صاحبه بانه محصن ومحمي بالاطار العام للدين مهما كانت سلوكاته التي تصل الى درجة العداء الى المجتمع او تهديد السلم فيه ، ولذلك يمكن ان تكون الجماعة الدينية نفسها مصدرا لخطاب للكراهية(١٠).

ثانيا: الانتماء الديني باعتباره هوية ثقافية : يقول احد الباحثين:" يتحول الانتماء الديني من خلال الممارسة الاجتماعية الى دائرة مغلقة من التصورات المشتركة ، وأساليب العيش الموحدة التي تعكس ارتباط الفرد بالمجموعة الدينية برابطة المعتقد وهذا ما ندعوه بالهوية الثقافية ، والتي تصبح بدورها عامل حماية للمنتمين اليها وخاصية متميزة لهم ، وعليه فان خطاب الكراهية يهاجم الخط الدفاعي للهوية الثقافية للدين معتبرا إياه سببا في السلوكيات والتصرفات التي تثير الكراهية "[١١].

في مثال الكراهية الدينية ضد المسلمين تشكل في بعض المجتمعات الغربية خصوصا خطاب يصور الإسلام في صورة المعتقد الرجعي العنيف ويرى ان أفكاره الشموليه تتعارض مع القيم الديمقراطية الليبرالية التي بنيت عليها الدول الحديثة ، حيث اصبح المسلمون اهداف لخطاب الكراهية، كما تحول الإسلام الى ثقافة معادية في المخيال الغربي ، من خلال تصويره كدين يحمل بداخله بذور الفرقة والعنف والعداء للاخر ، أي بوصفه مشروعا تدميرا للحضارة وهنا لم يعد التمييز بين الافراد المنتمين للدين وبين الدين نفسه كهوية ثقافية امرا ممكنا ، لصعوبة فصل التصورات الدينية في الممارسة الاجتماعية عن المقدسات بذاتها[١٢] .

المطلب الثاني: الكراهية العرقية

ان الاستعلاء العرقي والطبقي من الدوافع الرئيسية لظهور الكراهية ، اذ يعد التميز او الكره على العرق شكل من أشكال متعددة للتمييز منها التمييز بسبب العرق[١٣].

العرق في اللغة يعرف انه اصل كل شيء[١٤]، كما يعرف في معجم المصطلحات السياسية " بانه مجموعة من البشر يشتركون في عدد من الصفات الجسمانية والفيزيائية على فرض انعم يمتلكون موروثات جينية وثقافية واحدة "[١٥].

ان مفهوم المصطلح ووضوحه ظاهرا ، لكن تعددت دلالاته حسب تعدد المفاهيم للجماعات العرقية فقد تتعد كونها مجموعات صغيرة داخل الدول مثل عرقية الايغور داخل دولة ميانمار، او تتسع لتشمل الاسيويين او العرب او الافارقة(١٦).

التعريف بالنزعة الاستعلائية: الناظر في اللغة العربية لمعرفة معنى النزعة الاستعلائية يجد نفسه مضطراً إلى فصم عرى الكلمتين بعضهما عن بعض، وينظر إلى ما تعينه كل منهما منفردتين وما يعنيان بعد ضمهما. فالنزعة هي من "نزع"، وتعني الحنين والاشتياق، فتقول: "نزع إلى أهله أي حن واشتاق إليهم"، ونقول: "نزعة عرق يعني أشبه أصله" وتقول: "مال إلى هواه أي مال إلى الدفين الذي في نفسه"(١٧)، ولهذه النزعات عدة أوجه: كالحاجة والشهوة والغريزة والرغبة وغيرها من ظواهر النشاط التلقائي عند الإنسان، وتنقسم النزعات إلى: نزعات شخصية وتهدف إلى تحقيق مصلحة صاحبها، ونزعات غيرية وتدفع إلى تحقيق مصلحة الآخرين، ونزعات عصبية وتسعى إلى الاعتزاز بالعشيرة والأصل(١٨). وأما ما تعنيه كلمة الاستعلاء: فهي من "على" و"يعلو" وتعني أنه "اشرف على الأخر من مكان عال"، ويقال فلان "استعلائي" يعني أنه: "فوقي"، بمعنى: " نظر إلى الأخر نظرة دونية "، والاستعلائية بهذا التوجه هي:" صفة غير محببة تجلب الحقد والكراهية لصاحبها"، وأما في الاصطلاح فهي: "صفة متأصلة في نفسية الإنسان تميل به وتدفعه إلى التفرد والسيطرة والهيمنة وحب الظهور على الآخر، فتقيده بالقيود وتكبله وتشرف عليه وتتعهد أحواله وتحصي له أعماله، وهي عقدة إذا ما تأصلت في فكر الإنسان أكسبته صفة العداوة التي تلازم سلوكه، وتورثه عدم الثقة بالآخرين "(١٩)، وهي أعظم ما تميز الفكر الغربي اليوم عن غيره، وخصوصاً أن الغرب رفع لواء: "من لم يكن معنا فهو ضدنا "(٢٠)، وهو في صف غيرنا وما نحن عليه هو الأصح وما هو عليه غيرنا فهو الخطأ يجب أن يقاوم ويفنى.

والتميز بسبب العرق ظهر في العصر الحديث على يد مجموعة من فلاسفة العنصرية حيث بدأت سياسة التمييز العنصري في العصر الحديث بامتياز الجنس النوردي أو الآري " والجنس الاري فكرة تاريخية أثرت كثيرا في الحضارة الغربية خاصة في أواخر القرن التاسع

عشر ومطلع القرن العشرين، أذ أن متحدثي اللغات الهندو اوربية الاصليين يمثلون جنساً سائداً أو جنسا فرعيا سائداً من الجنس القوقازي، ويسمى الاعتقاد بوجود تلك النظرية أو الفكرة بالآريانية . وعلى الرغم من ظهور المصطلح ذاته في بادئ الامر لوصف مجموعة عرقية ألا أن هذا المعنى قد شهد تغييراً جذرياً ورواجاً شديداً من خلال توليد تيارات عديدة من الكراهية العنصرية خاصة خلال العهود النازية والنازيون الجدد بما في ذلك الافكار التنجيمية والافكار الداعمة لتفوق البيض "[٢١] فهي من نتاج الفكر في العصر الحديث بتميز عنصر او جنس معين على باقي الاجناس نتيجة لكونهم ينتمون الى عرق معين وهو العرق الاري ، وهذا لم يكن وليد الصدفة فقد كانت له مقدمات عبر التاريخ ، إذ ان العبودية التي كانت موجودة في العصور السابقة هي مقدم لهذا النوع من أنواع الكراهية لذا جاء الاسلام ليحد من ظاهرة العبودية والرق[٢٢].

وان مصطلح العرق استخدم لتقسيم الناس نجد ان الاسلام برز مفهوم الانسانية باعتبار ان البشرية جميعهم ينحدرون من عرق واحد ، وفي الدول العصرية وجد مصطلح المواطنه كحل للحد من الكراهية التي اوجدها مصطلح العرق[٢٣].

اما الطبقية: فهي مفهوم معاصر ظهر بقوة في الادبيات الماركسية ، وهو يدل على وجود تفاوت طبقي في المجتمع ، سواء اكان هذا التفاوت اقتصاديا ام اجتماعيا "[٢٤].

والاستعلاء العرقي هو اعتقاد انسان بان امته او الجنس الذي ينتمي اليه الاحسن والأكثر والأولى بالبقاء في الحياة من غيره ، وكذا الطبقية ، فهو يعتقد ان البقية يجب ان يكونوا اتباعا لعرقه ، او طبقته وخدما لهم وان عرقه او نسبه هو مرجع الحكم على الاخرين ، ايمانا بالقيمة الفريدة والصواب التام للعرق ، والنسب الذي ينتمي اليه ، ولا شك ان هذا الخطاب العرقي يعد مصدرا رئيسيا في نشاة الصراعات العرقية والعصبية التي تصل في بعض الأحيان مذابح وابادة جماعية[٢٥].

ان الشعور بالافضلية في الخلق والاعتقاد بالتفاضل والتمايز بين البشر على أساس العرق او اللون صفة ذميمة اول من حملها ابليس يوم خلق الله تعالى ادم وامر الملائكة بالسجود ولكن ابليس ابى معلل ذلك بافضلية خلقية ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢] فتعليل ابليس لامتناعه باصل خلقته وافضلية النار على الطين من وجهة نظره بالرغم من الخالق واحد وهو الله تعالى باعتراف ابليس ولكن الشعور المليء بالكبر والتعالي هو الذي حمله على الكراهية للجنس الانساني ولادم الذي اراده الله تعالى خليفة في الارض ، وترتب على حمل هذا الخطاب الاستعلائي حمل كراهية ادم وذريته الى اليوم الموعود والسعي لغوايتهم(٢٦).

نلحظ ان الاستعلاء والكراهية على العرق هي من صفات ابليس نجد بعض اقوام البشر يحملون هذا الشعور ضد ابناء جنسهم.

ان الدعوى في الافضلية حسب زعم البعض نابع من الاختلاف في الخلق ، اذ لا زال بعض الناس يعتقدون انهم من نسل اعلى من غيرهم او ان لهم ميزة او تفضيل على غيرهم بسبب لون بشرتهم او عرقهم او نسلهم ، وهكذا اختلف الناس وحصلت العنصرية ، وصدت عن الحق وحملت اصحابها على الباطل ، فهؤلاء قوم نوح رغم انهم من قبيلة واحدة يرفضون الايمان به بحجة ان اتباعه اقل شانا منهم في الطبقية والعرق ﴿ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الشعراء: ١١١](٢٧).

يقول الطباطبائي:" معنى الآية: أنا نشاهد أن متبعيك هم الأراذل والأخساء من القوم ولو اتبعناك ساويناهم ودخلنا في زمرتهم وهذا ينافي شرافتنا ويحط قدرنا في المجتمع، وفي الكلام إيماء إلى بطلان رسالته (عليه السلام) بدلالة الالتزام فإن من معتقدات العامة أن القول لو كان حقا نافعا لتبعه الشرفاء والعظماء و أولوا القوة والطول فلو استنكفوا عنه أو اتبعه

الأخساء والضعفاء كالعبيد والمساكين والفقراء ممن لا حظ له من مال أو جاه ولا مكانة له عند العامة فلا خير فيه "[٢٨].

وقد استمرت العنصرية تحمل مشاعر الكراهية افرادا وامم ، بل وصل الامر باليهود والنصارى الزعم الى ابعد مدى ، كما اخبر الله تعالى عنهم في كتابه الكريم ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١٨]، يقول ناصر مكارم الشيرازي:" أن هؤلاء القوم كانوا يعتبرون أنفسهم فئة متميزة في العنصر، ومتفوقة على سائر الأجناس البشرية، وكانوا يعتقدون أن الجنّة خلقت لهم لا لسواهم، وأن نار جهنم لن تمسّهم، وأنّهم أبناء الله وخاصته، وأنّهم يحملون جميع الفضائل والمحاسن "[٢٩].

ولهم إدعاءً آخر ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ ﴾ [البقرة: ١١١] ، هذه التصورات الموهومة كانت تدفعهم من جهة إلى الظلم والجريمة والطغيان، وتبعث فيهم من جهة أُخرى الغرور والتكبّر والإستعلاء[٣٠].

وبنو اسرائيل عارضوا تولي طالوت عليهم بحجة ان وضعه الطبقي والعرقي والمادي اقل شأنا ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾ [البقرة: ٢٤٧][٣١].

وحمل مشركي قريش مشاعر الكراهية والحقد وتبنوا خطاب عنصري يحمل كل مشاعر الاقصاء والدعاية المزيفة والاشاعات الكاذبة بحجة ان الرسول(صلى الله عليه واله) ليس من كبار القوم ولا اكثرهم اموال كما حكي القران عنهم ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزخرف: ٣١][٣٢]. فبنوا على هذه انه لا يستحق ان يكون نبيا ، وليس مؤهلا للرسالة ، فنشروا الاشاعات الكاذبة وافتروا عليه الاقاويل ووصفوه بالسحر والجنون قال تعالى

﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ ﴾ [الأنبياء: ٥]، وهذا كله ناتج عن الاستعلاء العرقي والطبقي(٣٣).

واستمر خطاب الكراهية المبني على الاستعلاء العرقي في العصر الحاضر ، حيث ان وسائل الاعلام الغربية تصف الاسلام بانه يحمل الكراهية وذلك ناتج لصرف النظر عن الاداء الذي يحملونه لتشويه صورته ، فالنزعة العرقية والطبقية لدى الغربيين ظاهرة المعالم ، ونظرتهم الدونية للشعوب الاخرى بالاخص الاسلامية(٣٤).

ان الاستعلاء العرقي والطبقي يعد عاملا رئيسيا في نشأة الصراعات العرقية وما نتج عنها من مذابح اجتماعية وقد تكون عن الشعور بالاستعلاء سلوك عدواني تجاه الاخر تمثل في الاتي:

١) الحاق الاذى على اساس اللون والعرق والطبقية : يتلازم الخطاب المتعلق بتفضيل عرق او لون ما على آخر مع غرس مظاهر الكراهية بين البشر ، وما يسببه من اذى على المستوى الفردي والجماعي ، ويتعدد نوع الاذى بالقول والفعل فمن مظاهر الاذى بالقول ما قاله قوم نوح ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ۝١١١ ﴾ [الشعراء: ١١١](٣٥).

يقول ناصر مكارم الشيرازي:((من القضايا المهمّة في حياة الأفراد والمجتمعات هي قضيّة معايير التقييم ونظام القيم الذي يتحكّم بثقافة ذلك المجتمع. لأنّ كلّ الحركات الصادرة عن الأفراد والجماعات في حياتهم إنّما تنبع من هذا النظام وتهدف إلى خلق تلك القيم. وإشتباه قوم من الأقوام وأُمّة من الأُمم في هذه القضيّة والتعامل بقيم خيالية لا أساس لها قد يؤدّي إلى طبع تأريخهم بطابع الغرور. وإدراك القيم الواقعية والمعايير الحقيقية يشكّل أساساً متيناً لبناء سعادتهم. عبيد الدنيا المغرورون يتصوّرون بأنّ القيم تنحصر فقط في المال والقدرة المادية والتعداد البشري، وحتّى القيمة أمام الله ينظرون إليها من داخل هذا الإطار))(٣٦).

وهناك نماذج كثيرة من هذا القبيل تلاحظ في القرآن الكريم، منها فرعون، الطاغية المتجبّر، الذي كان يقول لمن حوله بأنّه لا يصدق أنّ موسى (عليه السلام) رسول من الله، فإن كان حقّاً ما يقول فلِمَ لم يعطه الله سواراً من الذهب ﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٣] ، وحتّى انّه يرى عدمها دليل هي المهانة والدونية، فيقول: ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ ﴾ [الزخرف: ٥٢]. مشركو قريش، تعجّبوا من نزول القرآن على رجل فقير كرسول الله (صلى الله عليه وآله) وقالوا: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزخرف: ٣١] ، وبنو إسرائيل اعترضوا على نبي زمانهم في قضيّة إنتخاب طالوت كقائد للجيش وقالوا: ﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

لهذه الأسباب، كان أوّل عمل إصلاحي يقوم به الأنبياء هو تحطيم أُطر التقييم الكاذبة تلك، وإستبدالها بالقيم الإلهية الأصيلة والقيام بـ «ثورة ثقافية» أبدلوا أساس الشخصية ومحورها من الأموال والأولاد والثروة والجاه والشهرة القبلية والعائلة إلى التقوى والإيمان والعمل الصالح(٣٧).

النظرة الدونية للآخر : نتج عن خطاب الكراهية من خلال الاستعلاء العرقي والطبقي والنظر الى الاخرين ، ولذا فلا يحق للدني أن في نظر الاستعلاء العرقي ان يتساوى مع غيره في ابداء الرأي ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ [غافر: ٢٩] ، ان النظرة الدونية المنتشرة وفق المكانة الاجتماعية والعرق برز على اثرها التعدي والتخلف والصراعات والخلافات والانشقاقات وارتفعت نسبة التطرف والتشدد والعداوات(٣٨).

فالنظرة الدنية لها اثر شديد في تقسيم المجتمع وتقسيمه واذكاء بور الصراع فيه والتعدي على حريات الغير الفكرية والشخصية وبث روح الصراع والشقاق في المجتمع(٣٩).

وقد شرع الاسلام العديد من البادئ التي تبين وتعالج هذه الظاهرة فقد جاءت النصوص القرآنية تحض على اطلاق العبيد واعطائهم الحرية لانهم بشر ولهم حقوق بحكم إنسانيتهم والكراهية العرقية تعززت بعدة صور في النص القرآني في كون الانسان اخو الانسان في فقد ورد في النص الشريف قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [الحجرات:١٣] فاختلاف الاجناس آية من آيات الله تعالى ولا تعني أن يكون الانسان الذي ينتمي الى جنس او شعب من الشعوب افضل من الاخرين بحكم انتمائه العرقي ، قال الطباطبائي ((ذكر المفسرون أن الآية مسوقة لنفي التفاخر بالأنساب، وعليه فالمراد بقوله: (من ذكر وأنثى) آدم وحواء، والمعنى: أنا خلقناكم من أب وأم تشتركون جميعا فيهما من غير فرق بين الأبيض والأسود والعربي والعجمي وجعلناكم شعوبا وقبائل مختلفة لا لكرامة لبعضكم على بعض بل لان تتعارفوا فيعرف بعضكم بعضا ويتم بذلك أمر اجتماعكم فيستقيم مواصلاتكم ومعاملاتكم فلو فرض ارتفاع المعرفة من بين أفراد المجتمع انفصم عقد الاجتماع وبادت الانسانية فهذا هو الغرض من جعل الشعوب والقبائل لا أن تتفاخروا بالأنساب وتتباهوا بالإباء والأمهات))[٤٠] ، يقول ناصر مكارم الشيرازي:" والمراد بها هو أصل الخلقة وعودة أنساب الناس إلى «آدم وحواء»، فطالما كان الجميع من أصل واحد فلا ينبغي أن تفتخر قبيلة على أُخرى من حيث النسب، وإذا كان الله سبحانه قد خلق كلّ قبيلة وأولاها خصائص ووظائف معيّنة فإنّما ذلك لحفظ نظم حياة الناس الإجتماعية! لأنّ هذه الإختلافات مدعاةً لمعرفة الناس، فلو كانوا على شاكلة واحدة ومتشابهين لساد الهرج والمرج في المجتمع البشري أجمع "[٤١]. فلا تفاخر بين الناس أو افضلية لعرق على عرق أخر . وكذلك جاء

في قوله تعالى ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢ ﴾ [الروم: ٢٢] فاختلاف الوان الناس وأعراقهم لا يعني تفضيل عرق على عرق

وإنما هي آية من آيات الله تعالى اي ((واختلاف ألوانكم من البياض والحمرة والصفرة والسمرة وغيرها، فلا يشبه أحد أحدا مع التشاكل في الخلقة، وما ذلك إلا للتراكيب البديعة، واللطائف العجيبة، الدالة على كمال قدرته وحكمته، حتى لا يشتبه اثنان من الناس، ولا يلتبسان مع كثرتهم. (إن في ذلك لآيات) أي: أدلة واضحات (للعالمين) أي: للمكلفين. (ومن آياته) الدالة على توحيده، وإخلاص العبادة له (منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) بالنهار. وهذا تقديره أي: يصرفكم في طلب))[٤٢] ،

وفي قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ﴾[السجدة: ٧] أي أن الانسان مخلوق من طين ومادة خلقه واحدة فلا فرق بين إنسان وأخر في طبيعة الخلق فكل الناس مخلوقين من مادة واحدة وهي الطين ، وذلك بخلق آدم عليه السلام، أبي البشر[٤٣].

الخلاصة :

١- ان خطاب الكراهية نابع من اصل نفسي فاسد في ميزان القران الكريم

٢- ان الدافع الديني هو احد منابع الكراهية لاعتقاد الشخص ان دينه افضل وهو من أولياء الله والاخرين هم ضالين .

٣- ان الدوافع العنصرية بحكم لون الشخص او عرقه جاءت نتيجة الاستعلاء الذي يمارسة بعض الافراد او المجتمعات والقران دحض تلك الدعوات وبين ان اصل العرق الإنساني واحد .

٤- بين القران ان البشر كلهم من اب واحد وهو ادم ولا مكان في القران للتمايز العنصري .

٥- دعا القران لعدم اكراه الناس على الدين فهو متروك لاختيارهم ولا يجوز اجبارهم عليه .

الهوامش:

(١) خطاب الكراهية التحديات وسبل المواجهة ، الناصر عماره ، بحث منشور في مجلة اسطنبول للدراسات العربية ، العدد الرابع في ٢٠٢١م، ٣٩ .

(٢) ينظر: في حوار الأديان وبناء السلام، تحرير ديفيد أر سموك ، واشنطن، العاصمة: طباعة معهد السلام الأميرآي، ٢٠٠٢: ١٢٨

(٣) الإسهامات الدينية في صنع السلام: عندما يعمل الدين على إحلال السلام، وليس الحرب، أعمال السلام، ديفيد أر سموك، رقم ٥ ،تحرير ديفيد أر سموك (واشنطن، العاصمة: طباعة معهد السلام الأميرآي، ٢٠٠٦ : ٣٧

(٤) مبادئ كادمن حول حرية التعبير والمساواة – المبدأ (١٢ /ت) صـ١٠– على موقع hps://www.arcle١٩.org

(٥) جرائم الكراهية "دراسة مقارنة في القوانين الوطنية والدولية" ،وسام بسام فرج ، رسالة ماجستير كلية الحقوق جامعة بغداد ٢٠١٥م،ص٢٥

(٦) خطاب الكراهية التحديات وسبل المواجهة ، الناصر عماره ، ٣٩ .

(٧) المنبع الفكري للكراهية الدينية وسبيل التحرر.. يحيى محمد ، http://ijtihadnet.net

(٨) ينظر: خطاب الكراهية التحديات وسبل المواجهة ، الناصر عماره ، ٣٩ .

(٩) المصدر نفسه ، ٤٠ .

(١٠) ينظر: سبل مواجهة خطاب الكراهية ، خيرية علي العمري ، ط١، مشروع سلام للتواصل الحضاري ، الرياض ٢٠٢١م، ١٨.

(١١) خطاب الكراهية التحديات وسبل المواجهة ، الناصر عماره ، ٤٠ .

(١٢) ينظر: مكافحة كره الاسلام / الكراهية تجاه المسلمين لاجل القضاء على التميز والتعصب القائمين على اساس الدين والمعتقد ، تقرير لمجلس حقوق الانسان التابع للامم المتحدة ، الدورة السادسة والاربعون من ٢/٢٢– ٣/١٩ ٢٠٢١م ، ص٣ .

(١٣) والعرق: في اللغة مفرد جمعها أعراق وعُرُوق، وهو على معنيين الاول: وريد أو شريان وهو مجرى الدم في الجسد .والثاني الجنس، سلالة من الناس يُصنفون بناء على التاريخ أو الجنسية أو التوزيع الجغرافي المشترك. معجم اللغة العربية المعاصر: ٢: ١٤٨٨

(١٤) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، المكتبة الإسلامية، بيروت، د.ت ، ٤١٥.

(١٥) معجم المصطلحات السياسية ، علي الدين هلال ، نيفين مسعد ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ٢١٥ .

(١٦) ينظر: انواع خطاب الكراهية وتعامل القران الكريم معها ، يحيى مقبل صالح ، المجلة العلمية لجامعة اقليم سبا ، المجلد ٢، العدد ١، ٢٠٢١م ، ٦٩ .

(١٧) المعجم الوسيط ، ص٩٨٣.

(١٨) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب للبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ج٢، ص٤٦٢.

(١٩) معجم اللغة العربية، مرجع سابق، مادة (على).

(٢٠) باربر افيكتور، الحرب الصليبية الأخيرة، ترجمة: إحسان عمر، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٤م، ص٣١٣-٣١٤. انظر أيضاً: نبيل شبيب، "الهيمنة الأمريكية والجذور التاريخية"، مجلة المجتمع، الكويت، العد
(١٥١٧)، ٢٠٠٢م، ص٢٠.

(٢١) التمييز العنصري وأحكامه في الفقه الاسلامي(دراسة مقارنة)، د محمد ممدوح شحاته خليل، لمجلد الخامس من العدد الرابع والثلاثين لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية: ٨٢١ الهامش

(٢٢) الرقيق أو –العبد –هو إنسان محروم من الأهلية، وهو مملوك لأنسان غيره، يتصرف فيه تصرفهُ بملكه، فله أن يستخدمه ويؤجره ويرهنه ويبيعه ويهبه : لسان العرب ، ابن منظور: باب الراء: ٤١٥

(٢٣) ينظر: انواع خطاب الكراهية وتعامل القران الكريم معها ، يحيى مقبل صالح ، المجلة العلمية لجامعة اقليم سبا ، المجلد ٢، العدد ١، ٢٠٢١م ، ٦٩

(٢٤) انواع خطاب الكراهية وتعامل القران الكريم معها ، يحيى مقبل صالح ، المجلة العلمية لجامعة اقليم سبا ، المجلد ٢، العدد ١، ٢٠٢١م ، ٧٠.

(٢٥) ينظر: موسوعة المصطلحات الادارية والاجتماعية ، هاشم حسين ناصر ، ٢٠٠٨م، د.ت / د.ت ، ٢٨ .

(٢٦) ينظر: الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي ، ٥٧٤/٤ .

(٢٧) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، ٢٠٧/٧ .

(٢٨) الميزان ، الطباطبائي، ١٠٦/١٠ .

(٢٩) الامثل، ناصر مكارم الشيرازي ، ٣٠٣/١.

(٣٠) ينظر: المصدر نفسه .

(٣١) ينظر: التبيان ، الطوسي ، ٢٨٩/٢.

(٣٢) ينظر: مجمع البيان ، الطبرسي ، ٤٠٩/٧ .

(٣٣) ينظر: الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي، ٢٢٠/٧ .

(٣٤) ينظر: انواع خطاب الكراهية وتعامل القران الكريم معها ، يحيى مقبل صالح ، المجلة العلمية لجامعة اقليم سبا ، المجلد ٢، العدد ١، ٢٠٢١م ، ٧٢.

(٣٥) المصدر نفسه .

(٣٦) الامثل، ٤٦٤/١٣ .

(٣٧) الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي، ٤٦٥/١٣– ٤٦٦ .

(٣٨) ينظر: انواع خطاب الكراهية وتعامل القران الكريم معها ، يحيى مقبل صالح ، ٧٥ .

(٣٩) ينظر: سبل مواجهة خطاب الكراهية ، خيرية علي العمري ، ٣١.

(٤٠) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي ، ١٨ / ٣٢٦ .

(٤١) الأمثل، ٥٦٠/١٦ .

(٤٢) مجمع البيان، الطبرسي ، ٢ / ٥٤ .

(٤٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م .

المصادر والمراجع :

القران الكريم

١. الإسهامات الدينية في صنع السلام: عندما يعمل الدين على إحلال السلام، وليس الحرب، أعمال السلام، ديفيد أر سموك، رقم ٥ ،تحرير ديفيد أر سموك (واشنطن، العاصمة: طباعة معهد السلام الأميرآي، ٢٠٠٦

٢. انواع خطاب الكراهية وتعامل القران الكريم معها ، يحيى مقبل صالح ، المجلة العلمية لجامعة اقليم سبا ، المجلد ٢، العدد ١، ٢٠٢١م

٣. التمييز العنصري وأحكامه في الفقه الاسلامي(دراسة مقارنة)، د محمد ممدوح شحاته خليل، لمجلد الخامس من العدد الرابع والثلاثين لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

٥. جرائم الكراهية "دراسة مقارنة في القوانين الوطنية والدولية" ،وسام بسام فرج ، رسالة ماجستير كلية الحقوق جامعة بغداد ٢٠١٥م

٦. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب للبناني، بيروت، ١٩٨٢م

٧. خطاب الكراهية التحديات وسبل المواجهة ، الناصر عماره ، بحث منشور في مجلة اسطنبول للدراسات العربية ، العدد الرابع في ٢٠٢١م
٨. سبل مواجهة خطاب الكراهية ، خيرية علي العمري ، ط١، مشروع سلام للتواصل الحضاري ، الرياض ٢٠٢١م
٩. في حوار الأديان وبناء السلام، تحرير ديفيد أر سموك ، واشنطن، العاصمة: طباعة معهد السلام الأميرآي، ٢٠٠٢
١٠. معجم المصطلحات السياسية ، علي الدين هلال ، نيفين مسعد ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، القاهرة ، ١٩٩٤م
١١. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، المكتبة الإسلامية، بيروت، د.ت
١٢. مكافحة كره الاسلام / الكراهية تجاه المسلمين لاجل القضاء على التميز والتعصب القائمين على اساس الدين والمعتقد ، تقرير لمجلس حقوق الانسان التابع للامم المتحدة ، الدورة السادسة والاربعون من ٢/٢٢- ٣/١٩ ٢٠٢١م
١٣. موسوعة المصطلحات الادارية والاجتماعية ، هاشم حسين ناصر ، ٢٠٠٨م، د.ت / د.ت